

**دور القادة الكرد إبان حصار الصليبيين لمدينة عكا
587-585هـ/1189-1191م .**

محمود إبراهيم محمد إبراهيم عزب

باحث دكتوراة تاريخ إسلامي

كلية الآداب جامعة السويس

ملخص البحث:

يتناول البحث الحديث عن دور دور القادة الكرد خلال حصار الصليبيين لمدينة عكا 585-587هـ/1189-1191م أثناء الحملة الصليبية الثالثة، ومدى استبسال هؤلاء وجنودهم في الدفاع عن المدينة رغم ضخامة القوات الصليبية المهاجمة على المدينة.

واستعرض البحث صورًا مختلفة لمدى التضحيات التي قام بها قادة الأكراد لمواجهة الصليبيين، ومدى نجاحهم في تكبيد هؤلاء الصليبيين خسائر فادحة، مثل قيامهم بحرق الأبراج الخشبية، كما تناول البحث استعراض الجهود المتعددة لصالح الدين وقادته خارج عكا في تقديم المساعدات لمن بداخل المدينة.

الكلمات المفتاحية:

الأكراد – عكا – الصليبيين

Abstract

The recent research deals with the role of the Kurdish leaders during the Crusaders' siege of the city of Acre 585–587 AH/1189–1191 AD during the Third Crusade, and the extent of their valor and their soldiers in defending the city despite the massiveness of the Crusader forces attacking the city.

The research reviewed various pictures of the extent of the sacrifices made by the Kurdish leaders to confront the Crusaders, and the extent of their success in inflicting heavy losses on these Crusaders, such as their burning of wooden towers. The research also dealt with reviewing the

multiple efforts of Saladin and his leaders outside Akka in providing aid to those inside the city.

keywords: Kurds - Acre - Crusaders

المقدمة:

كان للأكراد دور مهم طوال تاريخهم العسكري في مصر وبلاد الشام وتضيق الصفحات في استعراض هذا الدور هنا ، لذلك سنشي إلى جانب بسيط من دورهم الجهادي ضد الصليبيين، من خلال استعراض دور القادة الكرد إبان حصار الصليبيين لمدينة عكا خلال الفترة الواقعة بين عامي 585-587هـ/1189-1191م.

اتضح الدور العسكري للأكراد بصورة واضحة أثناء الحصار الصليبي لمدينة عكا، فقد تجمع الصليبيون - الذين أمنهم صلاح الدين عب اخضاعه للبلاد التي استحوذوا عليها بالشام - في مدينة صور⁽ⁱ⁾، واجتمع بها منهم خلق كثير، لا يُعد ولا يحصى، ومن الأموال ما لا يُفنى⁽ⁱⁱ⁾، وعندما ضاقت عليهم صور أرادوا قصد مدينة صيدا ففشلوا⁽ⁱⁱⁱ⁾، فاتفقوا على قصد عكا ومحاصرتها^(iv)، وساروا إليها ولزموا البحر في مسيرهم، ومراكبهم تسير مقابلة لهم في البحر فيها سلاحهم وذخائرهم، وكانت فرق من جيش المسلمين تتخطفهم أثناء سيرهم، ويأخذون المنفرد منهم^(v)، وسار صلاح الدين حتى أصبح بالقرب منهم، وأرسل جماعة من رجاله إلى طريق تبنين يستطلعون أحوال العدو، ويعرفونه بأخبارهم^(vi)، ثم جمع أمراءه واستشارهم في مقاتلة الصليبيين وهم سائرون، فقالوا له: لا حاجة بنا إلى احتمال المشقة في مسيرتهم، فإن الطريق وعر وضيق، ولا يتهياً لنا ما نريده منهم، والرأي أن نجتمع عليهم عند عكا، فنفرقهم ونمزقهم، فوافقهم على ذلك^(vii).

وجعل صلاح الدين في مقابل الصليبيين جماعة من الأمراء يسايرونهم، ويناوشونهم القتال، ويتخطفونهم، ورغم قلتهم لم يقدم الصليبيون على مهاجمتهم أو التصدي لهم^(viii)، وكان صلاح الدين قد رأي في اجتماع الصليبيين خارج عكا فرصة للقضاء عليهم بوقوعهم بين قوات جيشه، حُر الحركة في الخارج، وحامية المدينة من المسلمين، الأمر الذي يُعد خطأً استراتيجيًا في مجال الحروب، إذ كان في مقدور صلاح الدين مواجهتهم قبل تركزهم أمام عكا^(ix).

وعندما وصل الأكراد إلى عكا رأوا الصليبيين قد نزلوا عليها من البحر إلى البحر من الجانب الآخر، ولم يبق للمسلمين إليها طريق، فنزل صلاح الدين عليهم، وضرب خيمته على تل كيسان^(x)، وامتدت ميمنته إلى تل العياضية^(xi)، وميسرته إلى النهر الجاري، وأُنزلت الأثقال بصفورية، وسير الكتب إلى الأطراف باستدعاء العساكر، فأتاه عسكر الموصل، وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة، وأتاه تقي الدين عمر ومظفر الدين بن زين الدين صاحب حران والرها^(xii)، ورتب فرق الجيش ووضعاها في كل يوم، استعدادًا لقتال العدو، وقد حاصر الأكراد الصليبيين في خيامهم من كل جانب، بحيث لا يقدر أن يخرج منها أحد، وإن خرج يُجرح أو يُقتل^(xiii).

وحرص صلاح الدين على إرسال الإمدادات باستمرار إلى المحاصرين داخل أسوار مدينة عكا عن طريق البحر، وما برحت المناوشات أن تتقطع بين الفريقين الإسلامي والصليبي، وحينما وصلت الإمدادات تحت قيادة الأمراء الكرد لم يجدوا سبيلاً للوصول لإخوانهم المحاصرين داخل عكا، ومن ثم كان عليهم التأهب لمنازلة الصليبيين ربما يجدوا ثغرة ينفذون منها^(xiv)، واستبسل الصليبيون في

القتال^(xv)، خاصة بعد توافد الإمدادات من القوات والمؤن لهم من الغرب الأوروبي في الثامن من رجب 585هـ/ أول سبتمبر 1189م^(xvi).

وبعد استنزاف طاقة الصليبيين في القتال حمل عليهم تقي الدين عمر حملة شديدة من الميمنة، فأزاحهم عن مواقعهم، ففروا والتجأوا إلى من يليهم من الفرنجة، وأخلوا الجهة المواجهة لقلب المدينة، فملك تقي الدين الجهة الشمالية والشمالية الشرقية للمدينة، وفتح الطريق بينه وبين المسلمين داخل المدينة، فقام صلاح الدين بتحسين تلك الجهة، ودعم حاميتها^(xvii)، وتمكن الأكراد من دخول المدينة، وهكذا زال الحصار الصليبي عن عكا، وحانت الفرصة أمام صلاح الدين لإدخال الرجال والذخائر والأموال والسلاح إليها^(xviii)، وواصل المسلمون جهودهم لدفع الصليبيين تمامًا عن حصارها^(xix).

وكان ممن أدخلهم صلاح الدين إلى عكا جماعة من الأمراء الأكراد ذوي الخبرة الكبيرة في قتال الصليبيين، ومن أشهرهم الأمير الكردي حسام الدين أبو الهيجاء السمين، وهو من أكابر أمراء عسكر صلاح الدين، ينتمي إلى الأكراد الحميدية من بلد إربل، وتمكن هذا الأمير من قتل عديد من الصليبيين في هذه المعارك^(xx).

وأخذ الأكراد يظهرون كثيرًا من ألوان فن الحرب والقتال، خاصة الذي يغلب عليه الالتحام المباشر بالفرنج، ولم يكتفوا بالهجوم المفاجئ على القوات الصليبية، أو قتال بعض منها بصورة منفردة، بل استخدموا معهم سلاح الكمائن والخديعة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا^(xxi)، وعاونهم في ذلك جماعة من العرب، فكانوا يعلمون أن الصليبيين يخرجون من الناحية الأخرى للاحتطاب وغيره من أشغالهم، فيكمنون لهم في معاطف النهر ونواحيه، كما كانوا يختبئون في مناطق الأشجار أحيانًا^(xxii)، فإذا

ما خرج جمع من الصليبيين على عادتهم حمل عليهم الأكراد والعرب، فيقتلهم عن آخرهم، ويغنموا ما كان معهم، ويحملون الرؤوس إلى صلاح الدين^(xxiii)، وتكرر ذلك عندما علم صلاح الدين أن الصليبيين اعتادوا الخروج إلى جبل تبنين للحصول على الأعلاف في حراسة فرسانهم، فرتب خطة كمين لهم، وأسل إلي عسكر تبنين أمرًا بالخروج في نفر يسير من العربان، فإذا تبعهم الصليبيون ينهزمون أمامهم إلى جهة حددها لهم، وأرسل إلى عسكر عكا أن يكونوا على أهبة الاستعداد، فإذا تحرك الصليبيون لنصرة أصحابهم هجم عسكر عكا على خيامهم^(xxiv)، وبعد أن رسم صلاح الدين الخطة على هذه الصورة رتب العسكر ثمانية فرق، واستخرج من كل فرقة عشرين فارسًا، وأمرهم أن يناوشوا أمام العدو، ويتظاهروا بالهزيمة بين أيديهم حتى يصلوا إلى الكمين، ففعلوا ذلك، ونشبت الحرب بين الفريقين، وكُتب النصر للمسلمين^(xxv).

وبقي الأكراد وغيرهم من المسلمين كل يوم يغادون القتال مع الصليبيين ويرأوحوه، والصليبيون لا يفارقون معسكرهم^(xxvi)، ثم اجتمع الصليبيون للمشورة، فقالوا: إن عسكر مصر لم يحضر، والحال مع صلاح الدين هكذا، فكيف يكون إذا حضر^(xxvii)، والرأي أننا نلقى المسلمين غدًا لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع العساكر والإمدادات إليهم^(xxviii)، وأصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم إلى القتال، ومنهم من ذهب لتحصيل ما يحتاج إليه هو وأصحابه ودوابه، فخرج الصليبيون من معسكرهم كأنهم الجراد المنتشر، وطلبوا ميمنة المسلمين، وعليها تقي الدين عمر^(xxix)، فلما رأى الصليبيين قاصدين نحوه حذر هو وأصحابه، فلما قربوا منه تأخر عنهم؛ حتى لا يقع هو من معه في الهلاك^(xxx).

وعندما رأى صلاح الدين حرج موقف تقي الدين عمر في القلب أمدّه بالرجال ليتقوى بهم، وعند ذلك رأى الصليبيون قلة المقاتلين في القلب، وأن كثيرًا منهم سار نحو الميمنة، فحملوا على القلب حملة رجل واحد، فاندفعت العساكر بين أيديهم منهزمين، فاستشهد جماعة من الأكراد كان على رأسهم الظهير الكردي أخو الفقيه عيسى الهكاري، وكان والي بيت المقدس، وقد جمع بين الشجاعة والعلم والدين، مما يدل على سياسية صلاح الدين الداعية إلى وضع الأكراد في المناصب الأكثر حساسية بما فيها والي القدس، واستشهد أيضًا الحاجب الكردي خليل الهكاري وغيرهم من الأكراد الشجعان الصابرين في مواطن الحرب^(xxxix)، أما المنهزمون من المسلمين، فمنهم من رجع إلى طبرية، ومنهم من بلغ دمشق، ولم يبق بين أيدي الفرنج في القلب من يردّهم^(xxxix)، فقصّدا التل الذي عليه خيمة صلاح الدين، فقتلوا من مروا به، وقتلوا عند خيمة السلطان جماعة، منهم الشيخ جمال الدين الحموي^(xxxix)، وانحدروا إلى الجانب الآخر من التل، فوضعوا السيف فيمن لقوه، ثم رأى الصليبيون أن أمدادهم قد انقطعت عنهم، فرجعوا خوفًا أن ينقطعوا عن الجيش الرئيسي^(xxxix).

وعندما انهزم الرجال من حول صلاح الدين في القلب أمرهم بالكرة ومعاودة القتال^(xxxix)، فاجتمع معه جماعة من المخلصين، فحمل بهم على الصليبيين من وراء ظهورهم، وهم مشغولون بقتال الميسرة، فأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب، فلم يفلت منهم أحد، بل قُتل أكثرهم، وأُخذ الباقي أسرى، وكان عدد القتلى من الصليبيين عشرة آلاف قتيل، فأمر صلاح الدين بإلقائهم في النهر الذي يشرب منه الصليبيون، وكان عامة قتلى الصليبيين من الفرسان^(xxxix).

واضطر الأكراد إلى مغادرة عكا؛ لانتشار الأمراض حول معسكرهم بسبب كثرة القتلى من المسلمين والصليبيين^(xxxvii)، فرحلوا إلى الخروبة^(xxxviii)، وأمر صلاح الدين من بعكا من المسلمين بحفظها وإغلاق أبوابها والحذر الشديد^(xxxix)، وعند ذلك أمن الصليبيون وعادوا، فحاصروا عكا، وشدّدوا من حصارهم لها^(xl)، وكانت طليعة الجيش الكردي كل يوم تخبر صلاح الدين بما يصنع الصليبيون، ويعظمون الأمر عليه، وهو مريض لا يقدر على النهوض للحرب، فتمكن الصليبيون من عكا، وحصنوا أنفسهم بقدر المستطاع، وكان من بعكا من المسلمين يخرجون إلى الصليبيين كل يوم ويقاثلونهم، وينالون منهم بظاهر البلد^(xli).

وفي منتصف شوال سنة 586هـ/ الثالث والعشرون من يناير 1190م وصلت العساكر الكردية إلى عكا يقودها الملك العادل، فلما وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه، واشتدت ظهورهم^(xlii)، وأحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيات (وهي أدوات قتال من خوذ ودروع وغيرها) والنشاب والأقواس شيئاً كثيراً، ومعهم من المشاة العدد الكبير، في حين وصل الأسطول المصري بغتة فوقع على بسطة^(xliii) كبيرة للصليبيين فغنمها، وأخذ منها أموالاً كثيرة، وميرة عظيمة، فأدخلها إلى عكا^(xliv)، فسكنت نفوس من بها بوصول الأسطول وقويت عزائمهم، وفي نفس الوقت كانت فرق الجيش الكردي وطلائعه لا تنقطع عن مهاجمة الصليبيين^(xlv)، وجاءت العساكر من البلاد القريبة من معسكر صلاح الدين مثل دمشق وحمص وحمّة وغيرها، فتقدم صلاح الدين نحو عكا، ونزل بتل كيسان الواقع في مرج عكا، وقاتل الصليبيين كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين^(xlii).

ومن الصور القتالية الرائعة للأكراد في هذه الأحداث حينما نجحوا في إحراق الأبراج الخشبية^(xlvii) التي صنعها الصليبيون، فقد عمل الصليبيون في مدة مقامهم على عكا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جدًا، وأصلحوا لها الطرق، وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها، فأشرفت على السور، وقاتل من بها من أعلاها، فانكشفت لهم المدينة^(xlviii)، وشرعوا في ردم خندقها، فأشرفت المدينة على السقوط، وأرسل أهلها إلى صلاح الدين يعلموه بما هم فيه من الضيق، فركب السلطان وعساكره وتقدموا إلى الصليبيين، وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالاً شديداً^(xlix)، فافترق الصليبيون فرقتين: فرقة تقاتل صلاح الدين، وفرقة تقاتل أهل عكا، ودام القتال ثمانية أيام متتابة، وسئم الفريقان القتال لملازمته ليلًا ونهارًا، وتيقن المسلمون من استيلاء الصليبيين على المدينة عندما رأوا عجز من فيها عن دفع الأبراج، فلم يتركوا حيلة إلا وعملوها، وتابعوا رمي النفط الطيار عليها، فلم يؤثر فيها^(l).

ولم يقبل الأكراد بزعامة الأمير بهاء الدين قراقوش - متولي أمر عكا - الهزيمة من الصليبيين، فسعوا جاهدين لإيجاد طريقة فعالة للقضاء على الأبراج الخشبية^(li)، وبالفعل نجحوا في ذلك باستخدام عقاقير تساعد على تقوية النيران، بحيث لا يمنعها شيء من الطين والخل عند اصطدامها، فأمر الأمير قراقوش بإلقائها على الأبراج الثلاثة فأحرقتها بمن فيها، وكان يومًا مشهودًا لم ير الناس مثله^(lii).

ولم يغفل الأكراد عن تحركات الصليبيين في الغرب، فوصلتهم - عن طريق عيونهم بآسيا الصغرى - أخبار حملة إمبراطور ألمانيا فريدريك بارباروسا Barbarosa (547-586هـ/1152-1190م)^(liii) المتجهة إلى الشام، فظلوا

يتربصون تحركاتها^(liv)، وفي الوقت نفسه يخوضون معارك عدة مع الصليبيين المحاصرين لعكا^(lv)، وعندما اقترب ملك الألمان من الشام استشار صلاح الدين أصحابه، فأشاروا عليه بالمسير لقتاله، قبل أن يتصل بمن على عكا من الصليبيين، فقال لهم صلاح الدين: بل نقيم إلى أن يقتربوا منا، وحينئذ نفعل ذلك؛ حتى لا يستسلم من بعكا من عساكرنا، وسير بعض العساكر إلى أعمال حلب؛ ليكونوا في أطراف البلاد يحفظونها من هجوم وشيك^(lvi).

وفي العشرين من جمادى الآخرة سنة 586 هـ/ الثامن والعشرون من يناير 1190م تجددت المعارك بين الأكراد والصليبيين، وأخرج الصليبيون فارسهم وراجلهم من وراء خنادقهم، وتقدموا إلى عسكر مصر الذي يقوده الملك العادل، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، واستخدم الأكراد معهم أساليبهم القتالية الماهرة من الكر والفر، وانخدع الصليبيون ووقعوا في كمائن الأكراد الذين قطعوا عنهم المدد^(lvii)، وكان الأكراد متصلين كالنمل، فلما انقطعت أمداد الصليبيين ألقوا ما بأيديهم، وأخذتهم السيوف من كل ناحية، فلم ينج منهم إلا الشريد، وقتل الأكراد منهم مقتلة عظيمة، ويزيد عدد القتلى الصليبيين على عشرة آلاف قتيل^(lviii)، فضعف الصليبيون، ولانت عزائمهم، وفي ذلك الوقت وصل الأكراد كتاب من حلب يخبرهم بموت ملك الألمان، وما أصاب أصحابه من الموت والقتل والأسر، واعتبر الأوربيون ذلك مؤشراً لعدم رضاء الرب عن الحملة بصفتها عملاً عدوانياً على المسلمين في الشرق^(lix)، واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال الصليبيين^(lx)، ثم أتت الصليبيين إمدادات عن طريق البحر مع الكندهري^(lxi)، فقويت نفوسهم واطمأنوا وتماسكوا^(lxii)، وعند ذلك انتقل صلاح الدين من مكانه إلى الخروبة^(lxiii).

ولم يقف صلاح الدين ومن معه من القادة الأكراد مكتوفي الأيدي أمام شدة حصار الصليبيين لعكا، مع تجدد الإمدادات الصليبية من الرجال والميرة، خاصة القوات الألمانية التي قادها فريدريك دوق سوابيا^(lxiv)، والتي صارت من أبرز القوات الصليبية المحاصرة لعكا^(lxv)، وأخذ من بعكا من المسلمين في الإغارة على الصليبيين، والاستيلاء على الكثير من أسلحتهم، كما قتلوا عددًا كبيرًا من الصليبيين^(lxvi)، وكانت الميرة قد قلت بعكا، فأرسل صلاح الدين إلى الإسكندرية يأمرهم بإرسال الأقوات وغيرها من الإمدادات إلى عكا^(lxvii)، وعندما تأخر إرسالها سير إلى نائبه على بيروت لتجهيز الإمدادات، وبالفعل سير حاكم بيروت بطسة عظيمة مملوءة من كل ما يريدونه من بعكا، وأمر من بالبطسة بارتداء ملابس الصليبيين، ففعلوا ذلك، وتشبهوا بهم، ورفعوا عليها الصلبان، فلما وصلوا إلى عكا لم يشك الصليبيون أنها لهم، فلم يتعرضوا لها، وعندما حاذت ميناء عكا أدخلها من بها، ففرح بها المسلمون، وقويت نفوسهم بما فيها إلى أن أنتهم الميرة من الإسكندرية^(lxviii)، مما يدل على براعة الأكراد في الحرب والسلم، وفي المناورة والمخادعة.

وواجه الأكراد صعوبات كثيرة نتيجة تتابع الإمدادات إلى الصليبيين المحاصرين لعكا، وعزم الصليبيون على الخروج من خنادقهم ومباغطة المسلمين^(lix)، فتركوا على عكا من يحاصرها، ويقا تل أهلها وخرجوا في عدد لا يُحصى، فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل أثقال المسلمين إلى حصن قيمون، القريب من عكا، وكان أولاده الأفضل علي والظاهر غازي والظافر خضر مما يلي القلب، وأخوه العادل في المينة، ومعه عساكر مصر ومن انضم إليهم، وكان في الميسرة تقي الدين عمر وصاحب سنجار، وصاحب جزيرة ابن عمر، والأمراء الهكارية والحמידية والزرزارية والمهرانية، وأمراء القبائل من الأكراد^(lxx)، فوصل الصليبيون إلى رأس النهر^(lxxi)،

فشاهدوا عساكر الإسلام وكثرتها، فارتاعوا لذلك، ولقيتهم بعض الفرق الكردية، وأمطرت عليهم وابل من السهام، فلما رأوا ذلك تحولوا إلى غربي النهر، واستمر الأكراد يقاتلونهم، وكان غرضهم أن يحمل الصليبيون عليهم، فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال، فيكون الفصل^(lxxii)، وندم الصليبيون على مفارقة خنادقهم، وعادوا نحو عكا ليعتصموا بخندقهم، وقوات الأكراد تتعقبهم فيقاتلونهم تارة بالسيوف، وتارة بالرمح، وتارة بالسهم^(lxxiii)، وأظهرت حامية عكا تحت قيادة الأمير الكردي بهاء الدين قراقوش بطولة وشجاعة تسترعي الانتباه^(lxxiv).

ورغم وصول الإمدادات الإسلامية إلى عكا فإن التفوق العددي كان للصليبيين، وشكا رجال حامية عكا من مواصلة السهر والقتال ليلاً ونهاراً، وطلبوا استبدالهم بحامية جديدة^(lxxv)، خاصة مع قدوم فصل الشتاء، واشتداد الرياح، وعند ذلك خاف الصليبيون على مراكبهم - لأنها لم تكن في الميناء - فسيروها إلى صور وغيرها من البلاد التابعة لهم، فانفتح الطريق للمسلمين إلى عكا عن طريق البحر^(lxxvi)، وكان بعكا الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين مقدماً على جندها، وقد أمر صلاح الدين بإقامة البدل وإرساله إليها، وإخراج من فيها، كما أمر أخاه العادل بمباشرة ذلك، فانتقل إلى جانب البحر، ونزل تحت جبل حيفا، وجمع المراكب والشواني، وكلما جاءه جماعة من العسكر سيرهم إليها، وأخرج جماعة عوضاً عنهم^(lxxvii)، وهكذا تم تجديد حامية عكا منتصف ذو القعدة سنة 586هـ/ فبراير سنة 1191م، ولكن عملية تجديد الحامية لم تتم على الوجه الأكمل؛ بسبب ظروف عسيرة خاصة بحصار الصليبيين لعكا، ولم يستطع المسلمون أن يدخلوا إلى إليها سوى عشرين أميراً^(lxxviii)، بدلاً من الستين الذين تم سحبهم منها^(lxxix)، في حين عادت مراكب الصليبيين إليها، وانقطع الطريق إلا من سابح يأتي بكتاب^(lxxx).

وهناك دفعة أخرى من الأمراء الأكراد تمكنت من الدخول إلى عكا في أول العام الهجري التالي كان منهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب، وعز الدين أرسل مقدم الأمراء الأسدية وغيرهم من أمراء الأكراد، وكان دخولهم عكا أول سنة 587هـ/1192م^(lxxxix)، وفي ذلك الوقت ظهرت بسالة وشجاعة الأمير الكردي أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص، حيث عهد إليه صلاح الدين بالتصدي لأي هجوم من الصليبيين في طرابلس، وأن يحمي المسلمين في تلك الناحية^(lxxxii)، وعلم أسد الدين شيركوه أن صليبي طرابلس خرجوا إلى مرج هناك برجالهم، فغنم منهم أربعمئة رأس من الخيل، ومائة من البقر، وعاد ولم يفقد من أصحابه أحدًا^(lxxxiii).

كل تلك التحركات العسكرية تجتمع لكي تؤكد على مهارة القادة الأكراد في وضع مخطط عسكري متكامل قابل للتنفيذ، كان الهدف منه إشغال الصليبيين في عدة جهات للتقليل من شدة حصارهم لمدينة عكا، وظهر قادة الكرد بمظهر المتفوق في الجزء الأول الحربي في كل ما أسند إليهم من قائد لهم الكردي الكبير صلاح الدين الأيوبي.

ومن اللافت للنظر أن صلاح الدين ومعه القادة الأكراد كرسوا جل جهدهم خدمة لفكرة الجهاد ضد الصليبيين، بما في ذلك إدارتهم للبلاد، فحرص صلاح الدين على أن يعهد لابن أخيه تقي الدين بحكم البلاد الجزرية سنة 587هـ/1190م، إضافة إلى ما كان له ببلاد الشام، وقرر معه أنه يُقطع البلاد للجنود، ويعود وهم معه إليه؛ ليتقوى بهم على الصليبيين^(lxxxiv)، وهكذا لم تقتصر مهارة الأكراد على التفوق في أمور الحرب والنزال، وإنما نجحوا كذلك في شئون الإدارة والسياسة.

وعندما عبر تقي الدين عمر الفرات، وأصلح حال البلاد الجزرية، سار إلى ميفارقين - وكانت له - لضم غيرها من البلاد المجاورة لها، فقصده مدينة حاني من ديار بكر، فحاصرها وملكها^(lxxxv)، كما تمكن من ضم خلاط^(lxxxvi)، وخضعت له جبلة واللاذوقية، ومعرة النعمان وحماه، وسلمية^(lxxxvii) والرها وحران، وسميساط^(lxxxviii) والموزر^(lxxxix) وميفارقين، فضلاً عن غيرها من البلاد الجزرية^(xc)، ولعل بذلك يتضح الأسلوب الذي كان صلاح الدين يتبعه للإكثار من الجند الأكراد في جيشه إذ كان من السهل عليه جمعهم من مواطنهم في شتي البلاد، طالما كان الحاكم المحلي يهدف إلى ذلك تنفيذاً لسياسة عامة وضعها القائد صلاح الدين.

وما زالت عكا تمثل الشغل الشاغل لصلاح الدين، وظل الأكراد بداخلها يواصلون استبسالهم في الدفاع عنها، وتشير أسماء الشهداء على ذلك، ففي منتصف شوال سنة 587هـ/ منتصف نوفمبر سنة 1190م استشهد عندها كثير من المجاهدين^(xci)، وكان على رأسهم الأمير الكردي نصير الحميدي^(xcii)، وإبان ذلك وصلت قوات صليبية جديدة إلى عكا يقودها ملك فرنسا فليب أوغسطس (576 - 620هـ/ 1180-1223م)^(xciii)، فقويت به نفوس من كان على عكا من الصليبيين^(xciv).

وكان صلاح الدين يقود قواته كل يوم ليشغل الصليبيين بالقتال عن الزحف على عكا^(xcv)، لكن المدد الصليبي الآتي من البحر لهم لم يتوقف، وكذلك لم تتوقف استغاثاتهم بالغرب الأوروبي^(xcvi)، فوصلت في ذلك الوقت قوات صليبية كبيرة يقودها ملك إنجلترا ريتشارد الأول 1 Richard (585-596هـ/ 1189-1199م)^(xcvii) الذي استولي على جزيرة قبرص وهو في طريقه للشام^(xcviii)، ليستفيد من موقعها ومواردها في الحرب التي يقودها ضد المسلمين، ثم اتجه ريتشارد من قبرص إلى

عكا^(xcix)، وشدّد الأكراد في تحصين مدينة عكا بعد قدوم قوات الحملة الصليبية الثالثة إليها، وأخذوا يعدّون العدة لمواجهة هذه القوات الكبيرة^(c).

واستبسل الأكراد في اصطلياد الجند الصليبيين – دون الوقوع في مواجهة غير محسوبة – واستخدموا معهم أساليب الأكراد الماهرة في القتال كالكر والفر وغير ذلك^(ci)، وكان المقاتلون المسلمون خارج عكا يقاتلون الصليبيين باستمرار، كلما تحركوا للقتال، فيقاتلهم داخل خنادقهم^(cii)، كما أمر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعدة والقوت، فجُهزت وسُيرت من بيروت، وفيها سبعمائة مقاتل^(ciii)، فلقبها ملك إنجلترا مصادفة فقاتلها، وصبر من فيها على قتال الصليبيين، فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدمها إلى أسفلها، وهو يعقوب الحلبي مقدم الجندارية، فخرقها، حتى لا يظفر الصليبيون بمن فيها، وما معهم من الذخائر، فغرق جميع ما فيها^(civ).

ولم يجد القادة الأكراد داخل المدينة بدءاً في نهاية الأمر من تسليم مدينة عكا للصليبيين بالأمان^(cv)، بعد أن قاسوا داخلها الكثير، وفُتيت معظم أرواحهم، ونفذت المؤن والأقوات من البلد^(cvi)، فأرادوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وهو تسليم البلد مع المحافظة على الأرواح والأموال^(cvii)، ولا يمكن لنا أن نوقع اللوم على القادة الأكراد في تسليم عكا؛ لأنهم ظلوا محاصرين لمدة عامين مع استمرار القتال بين الطرفين ليلاً ونهاراً^(cviii)، ومع استمرار توافد الإمدادات من البحر إلى الصليبيين^(cix)، وضرب أسوار البلد بالمنجنقات باستمرار مع صعوبة وصول الإمدادات الإسلامية إلى البلد، فقد استشهد الآلاف من المسلمين حتى لا تسقط عكا^(cx).

ولم يكن سقوط عكا نهاية المطاف بالنسبة للأكراد وجهادهم للصليبيين، فقد أتت جيوش الحملة الصليبية الثالثة وهدفها الاستيلاء على مدينة بيت المقدس^(cxi).

فكان على القادة الأكراد أن يضحوا بكل غالبي وثمين من أجل الدفاع عن المدينة المقدسة، وعن غيرها من المدن الواقعة في الطريق من عكا إلى بيت المقدس^(cxii).

(i) الحرب الصليبية الثالثة، جزآن، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ج1، ص45-47.

(ii) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص183؛ الحميدي، التاريخ الإسلامي، ص385-386.

(iii) الروضتين، ج4، ص75-76؛ مفرج الكروب، ج2، ص288-292.

(iv) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص83.

(v) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص184.

(vi) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص83-84.

(vii) الأصفهاني، الفتح القسي، ص297 - 298 .

(viii) علي أحمد السيد، دور ليوبوند الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتدابيراتها (1189-1194م/585-590هـ)، بحث منشور في مجلة الإنسانيات، كلية الآداب بدمنهور، جامعة الإسكندرية، العدد الثاني والعشرين، 2005م، ص255.

(ix) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص184.

(x) تل كيسان: موضع في مرج عكا من سواحل الشام. معجم البلدان، ج2، ص43؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ص298، حاشية رقم 1.

(xi) تل العياضية: تل قبالة تل المصلبين مشرف علي عكا، وخيام العدو. أبو شامة، الروضتين، ج4، ص82.

(xii) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص184-185.

(xiii) النوادر السلطانية، ص84-85؛ مفرج الكروب، ج2، ص290-292.

(xiv) الأصفهاني، الفتح القسي، ص298-299.

(xv) محمود سعيد عمران، الحروب الصليبية، ص150-153.

- (xvi) الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص89-93؛ ذيل تاريخ وليم الصوري، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص164.
- (xvii) علي السيد، دور ليوبولد الخامس، ص25.
- (xviii) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص185.
- (xix) الأصفهاني، الفتح القسي، ص299-300.
- (xx) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص185.
- (xxi) الأصفهاني، الفتح القسي، ص304-305؛ حسان سعداوي، جيش مصر، ص49.
- (xxii) عن أساليب الأكراد القتالية راجع: قدرى قلنجي، صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، بيروت، 1979م، ص406؛ فايد حماد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، القاهرة، 1977م، ص224.
- (xxiii) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص87؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص185-186، أبو شامة، الروضتين، ج4، ص76-77.
- (xxiv) حسان سعداوي، جيش مصر، ص49.
- (xxv) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص86-87؛ أبو شامة، الروضتين، ج4، ص85-87، سعداوي، جيش مصر، ص49-50.
- (xxvi) للمزيد من التفاصيل انظر أبو شامة، الروضتين، ج4، ص79-80؛ محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص151-153.
- (xxvii) كان كثير من عسكر صلاح الدين غائباً عنه، بعضها مقابل أنطاكية ليردوا بوهيموند عن أعمال حلب، والبعض الآخر في حمص مقابل طرابلس لتحفظ ذلك الثغر، وعسكر في مقابل صور، وعسكر بمصر ليحمي ثغر دمياط والإسكندرية وغيرهما، والذي بقي من عسكر مصر لم يصل لطول الطريق، مما أطمع الصليبيون في قتال المسلمين. الكامل في التاريخ، ج10، ص186.
- (xxviii) الفتح القسي، ص308؛ ابن الأثير، الكامل، ج10، ص186.
- (xxix) الأصفهاني، الفتح القسي، ص308.
- (xxx) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص186.

- (xxxix) الأصفهاني، الفتح القسي، ص308-309.
- (xxxii) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص187.
- (xxxiii) جمال الدين بن رواحة: من أهل العلم، وجدّه عبد الله بن رواحة، صاحب رسول الله، قتله الروم يوم مؤتة سنة 8 هـ/629م، وهذا قتله الصليبيون يوم عكا سنة 585هـ/1189م. الكامل في التاريخ، ج10، ص187؛ الروضتين، ج4، ص97.
- (xxxiv) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص186-187؛ الذهبي، العبر، ج3، ص89-90.
- (xxxv) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص292-302.
- (xxxvi) الأصفهاني، الفتح القسي، ص310-311.
- (xxxvii) ابن خلدون، العبر، ج5، ص372.
- (xxxviii) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص303-305.
- (xxxix) الروضتين، ج4، ص94-95؛ ابن الأثير، الكامل، ج10، ص188.
- (xl) الأصفهاني، الفتح القسي، ص325-326.
- (xli) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص188؛ الذهبي، العبر، ج3، ص91.
- (xlii) النوادر السلطانية، ص101؛ الروضتين، ج4، ص103-104.
- (xliii) البسطة: سفينة بحرية كبيرة الحجم استخدمت زمن الحروب الصليبية في نقل الأزواد والذخيرة، وكل ما يحتاج إليه في الحروب. درويش النخيلي، السفن الإسلامية علي حروف المعجم، الإسكندرية، 1974م، ص14.
- (xliv) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص188-189.
- (xlv) أبو شامة، الروضتين، ج4، ص99.
- (xlvi) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص191، شذرات الذهب، ج6، ص468.
- (xlvii) طول كل برج من هذه الأبراج ستين ذراعاً، ويضم خمس طبقات، كل طبقة مملوءة بالمقاتلين، وظلّوها بالجلود والخل والطين والأدوية التي تمنع النار من إحراقها، وهي مركبة علي عجلات، يسع البرج أكثر من خمسمائة محارب، ويتسع سطحها لئنصب عليه منجنيق. ابن شداد، النوادر السلطانية، ص98-100؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص191-192.

- (xlvi) الروضتين، ج4، ص121-122؛ مفرج الكروب، ج2، ص315-316.
- (xlix) ابن خلدون، العبر، ج5، ص372.
- (I) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص191-192.
- (II) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص98-100.
- (III) الكامل في التاريخ، ج10، ص191-193؛ الروضتين، ج4، ص122-123.
- (liii) فريدريك بربروسا: عُرف ببربروسا نسبة للحيته الحمراء، وكان ذا عقلية ناضجة استحوذت شخصيته علي إعجاب المؤرخين، لأنه جمع جميع الشيم التي افتخرت بها فروسية العصور الوسطى من شجاعة فائقة، وهمة خارقة، وشغف بالقتال والمغامرة، وحب العدل، واعتبره الأوربيون مثال الفارس الكامل. الأصفهاني، الفتح القسي، ص331، حاشية رقم1؛ أسمت غنيم، الدولة الأيوبية والصليبيون، ص47، سعيد عمران، المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2003م، ص72-73.
- (liv) تاريخ الزمان، ص216-217؛ عادل عبد الحافظ، العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي 1152 – 1250 هـ/547-648م، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 1989م، ص163-165.
- (lv) أبو شامة، الروضتين، ج4، ص111-115.
- (lvi) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص195؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص373.
- (lvii) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص344-345.
- (lviii) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص195-196.
- (lix) جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1988م، ص56؛ علي السيد، دور ليوبولد الخامس، ص264-265.
- (Ix) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص196.
- (Ixi) حسين محمد عطية، إمارة إنطاكية الصليبية والمسلون (1171-1268م/567-666هـ)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1989م، ص219. والكندھري: ابن أخي ملك فرنسا لأبيه، وابن أخي ملك إنجلترا لأمه، وصل إلي الشام ومعه كثير من الأموال، فجند الأجناد، وبذل الأموال، ففويت نفوس الصليبيين، وأخبرهم أن الإمدادات واصله إليهم باستمرار. الكامل، ج10، ص196.

(Ixi) Archer (T .) Kingsford (c .) : The Crusades , London , 1894 , p . 316 - 317 .

(Ixi) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص196؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص328.

(Ixii) علي أحمد السيد، دور ليوبوند الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتدايعاتها، ص267.

(Ixi) Roger of Hovden, Annals ,Comprising History of England and other Contries of Europe , From 732 – 1201 , A . D . Trans . from the Latin With notes and illustrations by , Henry T . Riley , 2 vols ., London , 1883 . vol 11 , p . 171.

(Ixvi) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص196.

(Ixvii) أبو شامة، الروضتين، ج4، ص154.

(Ixviii) الروضتين، ج4، ص155؛ ابن الأثير، الكامل، ج10، ص196-197.

(Ixi) يقدر بعض المؤرخين جموع الصليبية التي احتشدت أمام عكا بأكثر من عشرين ألف صليبي، وعدد سفنهم لا يقل عن خمسمائة واثنين وخمسين سفينة من مختلف البلاد الأوربية، وهذا العدد يزيد علي ما عند صلاح الدين من سفن حربية، واعترف صلاح الدين بهذا التفوق البحري للعدو فقال: ومن خبر الكفار أنهم الآن علي عكا يمددهم البحر يمركب أكثر عدة من أمواجه، فإذا قتل المسلمون واحدًا في البر بعث البحر عوضه ألفا. أسمت غنيم، الدولة الأيوبية، ص52-53.

(Ixx) أبو شامة، الروضتين، ج4، ص225-226.

(Ixxi) ابن خلدون، العبر، ج5، ص374.

(Ixxii) أبو شامة، الروضتين، ج4، ص226-228.

(Ixxiii) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص197-198.

(Ixxiv) أسمت غنيم، الدولة الأيوبية والصليبيون، ص53.

(Ixxv) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص198.

(Ixxvi) الأصفهاني، الفتح القسي، ص465-466.

- (lxxvii) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 198.
- (lxxviii) ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 345-346.
- (lxxix) اليافعي، مرآة الجنان، ج 3، ص 328.
- (lxxx) الأصفهاني، الفتح القسي، ص 458.
- (lxxxi) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 198-199.
- (lxxxii) النوادر السلطانية، ص 135؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 215-216.
- (lxxxiii) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 135.
- (lxxxiv) الفتح القسي، ص 467-468، الروضتين، ج 4، ص 168-170.
- (lxxxv) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 204.
- (lxxxvi) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 21، ص 203.
- (lxxxvii) سلمية: بلدة قرب المؤتفكة من أعمال حماة، وعندما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل من العذاب رحم الله منهم مائه نفس، فنزلوا إلى سلمية فعمروها وسكنوها، فسُميت سلم مائة، ثم حرقها الناس فقالوا سلمية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 240-241؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ص 467.
- (lxxxviii) سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم لها قلعة يسكنها الأرمن، وكانت من أملاك الملك الأفضل علي بن صلاح الدين. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 266-267؛ الفتح القسي، ص 46.
- (lxxxix) موزر: كورة بالجزيرة الفراتية منها نصيبين. معجم البلدان، ج 5، ص 221.
- (xc) الفتح القسي، ص 467-468؛ الكامل في التاريخ، ج 10، ص 204.
- (xci) الروضتين، ج 4، ص 225-228؛ تاريخ الزمان، ص 215-216.
- (xcii) أبو شامة، الروضتين، ج 4، ص 237.
- (xciii) فليب أو غسطس: كان ملكًا ذكيًا عمل على تشجيع العلوم، واتصف بالحزم والشجاعة والدهاء، لم يتردد عن سلوك أي سبيل يوصله إلى غايته، فكان كريمًا مع الكنيسة لكنه لم يسمح لرجال الدين أو الباباوية بأن تتدخل في شئون دولته. الفتح القسي، ص 474، حاشية رقم 1؛ عمران، المغول والأوروبيون، ص 156.

- (xciv) الفتح القسي، ص474؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص136-137.
- (xcv) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص204.
- (xcvi) أحمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط1، دار النهضة العربية، 1405هـ/1985م، ص184.
- (xcvii) ريتشارد الأول: تولى حكم إنجلترا بعد وفاة أبيه سنة 585هـ/1189م، ويعرف باسم ريتشارد قلب الأسد Richard The Lion - Heart، وُلد في مدينة إكسفورد سنة 551هـ/1157م، وعاش أكثر عمره في مقاطعة إكويتين ليصرف شئون المقاطعة بدلاً من أمة اليانور، وكان لتواجده في إقليم إكويتين أثراً كبيراً على ثقافته، فقد تأثر بالثقافة الفرنسية الجنوبية، وانشغل منذ توليه العرش بالاستعداد للقيام بالحملة الصليبية الثالثة. محمود سعيد عمران، المغول والأوربيون والصليبيون، ص135-137.
- (xcviii) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص26-29.
- (xcix) الأصفهاني، الفتح القسي، ص477-479؛ النوادر السلطانية، ص142-143، ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص350.
- Geofrey De Vinsauf , Chroniclis of the Crusades Itinerary of Richard and Other to the Holy Land , London , 1848 , pp 218 – 221.**
- (c) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص205؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص377.
- (ci) الفتح القسي، ص488-493، مفرج الكروب، ج2، ص330-332.
- (cii) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص142-143.
- (ciii) الكامل في التاريخ، ج10، ص205. وذكر ابن شداد أنه كان بها ستمائة وخمسون مقاتلاً انظر النوادر السلطانية، ص142-143.
- (civ) الروضتين، ج4، ص248؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص351.
- (cv) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص155-156.
- (cvi) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص355-361؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ص320-324، اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص328.

- (cvii) أبو شامة، الروضتين، ج4، ص256-263، البداية والنهاية، ج12، ص417-418. وللمزيد من التفاصيل حول سقوط عكا في يد الصليبيين راجع لين بول ستانلي، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة فاروق سعد أبو جابر، ط1، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، القاهرة، 1416هـ/1995م، ص219-246.
- (cviii) الذهبي، العبر، ج3، ص93-94؛ شذرات الذهب، ج6، ص468.
- (cix) النوادر السلطانية، ص148-149؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص377.
- (cx) الأصفهاني، الفتح القسي، ص517-519.
- (cxi) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص216-219؛ مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص379-380.
- (cxii) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص687-688.